الخلافة العباسية بعد الاحتلال المغولي لبغداد

(٦٥٦-٦٧٦هـ/١٢٥٨-١٢٧٧م)

د. فائز علي بخيت(*)

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على أهم حقبة من حقب التأريخ الإسلامي ألا وهي الخلافة العباسية بعد احتلال بغداد (٦٥٦_ ٦٧٦هـ / ١٢٥٨ _ ١٢٧٧م) التي كانت تمثل رمزا دينيا للعالم الإسلامي، حيث أن تلك المكانة بدأت تضعف بسبب سيطرة القوى الأجنبية على بغداد كالبويهيين والسلاجقة، لذلك حاول بعض السلاطين التابعين للخلافة نقل مقرها إلى بلادهم ، فكانت المحاولة الأولى من قبل احمد بن طولون حاكم مصر الذي استدعى الخليفة العباسي المعتمد إلى مصر ، لكن محاولته باءت بالفشل ، أما المحاولة الثانية فقد قام بها محمد الإخشيدي وكان نصيبها الفشل أيضا.

وبعد التوسع المغولي في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي واجتياح الأراضي الإسلامية تمكنوا من احتلال بغداد وقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله، فاستطاع احد أبناء البيت العباسي الذي نجا من المذبحة المغولية التوجه نحو بلاد الشام واستقر عند قبيلة خفاجة العربية ، اثناء ذلك سمع الأمير الأيوبي المالك الناصر حاكم دمشق وحلب بذلك ، فارسل إليه طالبا منه التوجه إلى بلاد الشام لمبايعته بالخلافة ، إلا أن الهجوم المغولي على حلب حال دون تحقيق ذلك ، وبعد ان تولى قطز عرش السلطنة في مصر ، حاول مبايعة الإمام أبي العباس بالخلافة ، إلا أن مقتله كان سبباً في عدم تحقيق ذلك الأمر.

وبقيت الأحداث على ما هي عليه حتى تولى حكم مصر السلطان الظاهر بيبرس فبعث إلى أبي العباس يدعوه إلى مصر، فعند وصوله تأكد السلطان من نسبه عن طريق

(*) مدرس. كلية العلوم الإسلامية – قسم الحضارة الإسلامية / جامعة الموصل.

الشهود، فأقره قاضي القضاة تاج الدين ولقب بالمستنصر بالله، ولم يستمر في الخلافة بسبب مقتله على يد المغول بالقرب من مدينة الأنبار حيث تمكن أبو القاسم من الهرب من ميدان المعركة فتوجه إلى بلاد الشام ومن ثم إلى مصر فبايعه السلطان بيبرس بالخلافة ولقب بـ(الحاكم بأمر الله).

أما بالنسبة لمكانة الخلفاء العباسيين عند سلاطين المماليك فلم يبق لهم من الخلافة سوى اسمها وهذا ما انعكس على علاقة الخلافة العباسية مع الدويلات الإسلامية فكانت متأرجحة ما بين مؤيد ومعارض، وبذلك بقيت الخلافة العباسية في مصر إلى أن احتلت الدولة العثمانية مصر سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م .

Abassian government after the Mongolian control of Baghdad (656-676A.H.–1258-1277A.C)

ABSTRACT

It aims to concentrate the light on the in ported date from the Islamic history include Abasic control after the occupation of Baghdad in (656-676A.H.–1258-1277A.C) which was represent symbol of religion for all the Islamic world . this prestige started to dieout because the foreign forces captured on Baghdad as Boihi and Salajk So , some prices tried to change its head to their country the first try by Ahmad bin Tolon the governor of Egypt Who recall the Abassian prince Al- Motamed to Egypt But his try were failure . the second try by Mohammed Al AKShed Which failed So .

After the Mongolian extension in thirteen century , seventh century for Hijra and the occupy of the Islamic lands , They occupied Baghdad and kill the Abassic prince Ak Mstasm One person from the Abassic home who flee from the Mongolian slaughter went to the Sham land Settled at the Arab of Kafaja , During that the Aubran prince Al malek Al Naser was heared which was the governor of Demishicous and halap . So he sent demand to go to Sham to give him the government But the Mongolian attack Failed that So the Sultan ktiz tried to give it the Emam Abo Al Abass but his killed was Failed the matter . these events continuos until the sultan Bebars

controlled on the government so , he sent to Abe Al Abass invited him to Egypt when he reached the Sultan was known him by the witnesses then , the head of judges decided him and his nick named Al Mstnser ballah . And because he killed near of Al Anbar by Al Mongolian he did not continuos as Duke where Abu Al Kasim flee From the battle and Went to Sham then to Egypt the Sultan Bebars gave him the government and his hick name was Bemr Allah for the prestige of the Abassian governor at the sultan they lost every thing except its hame and this refaced on the relation Ship of the Abassian with the Islamic countries which was supported by some and rejected by other so it stayed in Egypt until the Uthmanic state occupied Egypt in (922A.H-1516A.C).

كانت الخلافة العباسية تمثل رمزاً دينياً كان له الصدى الكبير في جميع أنحاء العالم الإسلامي زهاء خمسة قرون ونصف قرن، كما كانت محط الأنظار لكل حكام الأقاليم التابعة لها لما تضفيه من شرعية على حكمهم [١] وبهذا مارست الخلافة العباسية نفوذاً وسلطة مركزية على كل الأقاليم التابعة لها ، ولاسيما في العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٤٧هـ/٧٤٩-٨٦١م) إلا أن الضعف بدأ يدب في جسم الخلافة مما مكن القوى الأجنبية كالبويهيين والسلاجقة من احتلال بغداد مقر الخلافة وعاصمتها [٢] ونتيجة لذلك الاحتلال والضعف قام بعض حكام الأقاليم التابعين للخلافة العباسية بإلغاء التبعية لها ، بل حاول بعضهم نقل مقر الخلافة العباسية إلى مناطق نفوذه [٣] فكان احمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية في مصر (٢٥٤-٢٧٠هـ/٨٦٨-٨٨٣م) [٤] أول من حاول ذلك حيث سعى إلى استدراج الخليفة العباسي المعتمد بالله (٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٦٩-٨٩٢م) من بغداد إلى القاهرة في سنة ٢٦٩هـ/٨٨٢م مستغلاً الموقف المتوتر بين الخليفة وأخيه الموفق الذي جرده من صلاحياته كافة واصبح هو الرجل الاول في الدولة، وهذا ما حفز ابن طولون الى السعي لتحقيق هدفين ، الأول : نقل مقر الخلافة العباسية من بغداد إلى مصر لجعلها تحتل مركز الصدارة في العالم الإسلامي ، وهذا ما يدعم مركزه دينياً وسياسياً ، أما هدفه الثاني : فقد أراد تجريد الموفق من السند الشرعي له ، فكتب يدعو الخليفة بالمجيء إلى مصر وترك بغداد حفاظاً على حياته وعلى هيبة الخلافة العباسية ، فكان نص رسالته

"وقد اجتمع عندي مائة ألف عنان ، مؤلفة قلوبهم ، مجتمعة آراؤهم ،شديد بأسهم ، وأنا أرى لسيدي أمير المؤمنين... ويرجع بعد الامتهان إلى نهاية العز ، ولكن فيه ما نخافه في كل لحظة منه عليه..."(٥).

لا شك أن ابن طولون أراد من تلك المحاولة دعم دولته الجديدة في مصر والشام من خلال إضفاء الشرعية عليها والأهم من ذلك كله أراد التخلص من دفع الضرائب السنوية التي كان يرسلها إلى مقر الخلافة العباسية ، إلا أن أهدافه لم تتحقق بعد ان تمكن الموفق من إلقاء القبض على الخليفة المعتمد في الموصل وإعادته إلى بغداد (٦) ، ولم يتوقف الأمر إلى هذا الحد لنقل مقر الخلافة العباسية من بغداد ، فكانت المحاولة الثانية من قبل محمد الاخشيد بن طغج (٣٣٢-٣٣٤هـ/٩٤٣-٩٤٥م)(٧) في سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م لاجتذاب الخليفة المتقي (٣٢٩-٣٣٣هـ/ ٩٤٠-٩٤٤م) بعد استبداد أمراء الأتراك في بغداد (٨) فلقيه في مدينة الرقة شمال الفرات فطلب منه أن يذهب معه إلى القاهرة الا ان الخليفة رفض ذلك واصر على عدم ترك بغداد مقر الخلافة العباسية وأسرته (٩) ، وبفشل هاتين المحاولتين بقيت الخلافة في بغداد شامخاً لقرنين من الزمان مواجهة كل الظروف والأزمات السياسية ، إلا أنها انهارت على يد اكبر قوة همجية عرفها التاريخ آنذاك ألا وهي الغزو المغولي .

ظهر المغول كقوة كبرى مؤثرة في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، ولم يتعرض العالم الإسلامي لظروف عصيبة مثل التي تعرض لها من جراء الغزو المغولي(١٠) إذ دمرت الجيوش المغولية بقيادة جنكيز خان (٦٠١-٦٢٤هـ/١٢٠٤-١٢٢٧م)(١١) مدناً إسلامية كثيرة وأخذت تقتل وتدمر كل شيء أمامها ، ولم يكن المسلمون موحدي القوى للوقوف بوجه هذه الهجمة الشرسة، واستمر ابناؤهم وأحفاده في سياستهم التوسعية لإنشاء اكبر إمبراطورية مغولية حتى وصلوا إلى مشارف بغداد بقيادة هولاكو (٦٤٩-٦٦٤هـ/١٢٥١-١٢٦٥م) (١٢) .

لا شك ان ظروف الغزو المغولي لبغداد وأحداثه وما أحدثه من تدمير كان له انعكاس واضح على المستوى الرسمي والشعبي ، ووصف احد الشعراء حال الخلافة وضياع الديار نتيجة لذلك الغزو(١٣) وتبقى اسئلة تطرح نفسها : مصير الخلافة العباسية

بعد الاحتلال ؟ وهل تم القضاء عليها بشكل نهائي، أم انتقلت إلى مكان أخر لتعود إلى النهوض مرة أخرى ؟. من الذي أحيا الخلافة العباسية ؟ ومن هم الأشخاص الذين ثبت نسبهم بانهم ينتمون إلى النسل العباسي ؟ وما هي أبرز النتائج التي ترتبت على ظهور الخلافة العباسية من جديد ؟ وما المكانة التي حظي بها الخلفاء العباسيون ؟ هذا ما سيتم تناوله في متن هذا البحث.

بعد أن تمكنت القوات المغولية من اجتياح بغداد بقيادة هولاكو الذي أمر بقتل الخليفة المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٢-١٢٥٨م) أخر الخلفاء العباسيين في سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م (١٤) اصبح العالم الإسلامي بدون خليفة (١٥) مما أوجد فراغاً كبيراً شعر به كل مسلم نتيجة لتلك المأساة الأليمة التي حلت بهم ، أما على مستوى الحكام المعاصرين ، فقد وجدوا من جراء ذلك الحدث الكبير تهديداً لهم أيضا وانه سيؤدي إلى تفكيك العلم الإسلامي إلى دويلات متناحرة ومتصارعة .

وبدا ان دور الخلافة العباسية بدأ بالظهور من جديد في أوائل سنة ٦٥٨هـ/١٢٥٩م في دمشق على يد الملك الناصر يوسف الأيوبي (٦٤٨-٦٥٩هـ / ١٢٥٠-١٢٦٠م) أمير دمشق وحلب عندما علم من عيسى بن مهنا أمير العرب بالأطراف الشرقية والشمالية المتاخمة للحدود العراقية ، بأن أحد أمراء البيت العباسي ، هو أبو العباس احمد أحد أحفاد الخليفتين المسترشد بالله والمستظهر بالله يرغب في التوجه إلى دمشق ، فبعث الملك الناصر رسالة إلى ابن مهنا يطلب منه إرسال أبي العباس إليه ، ومن ثم مبايعته بالخلافة ، وذلك لأمرين ، الأول: تعزيز لمركزه من خلال اتخاذه سلاحاً يشهره في وجه المماليك في مصر ، والثاني إن يكون له سنداً شرعياً أمام العالم الإسلامي ، إلا أن ذلك الطموح قضي عليه من قبل القوات المغولية ، عندما قامت بالهجوم على بلاد الشام مما اضطر أبا العباس إلى العودة مرة أخرى إلى الأمير عيسى بن مهنا (١٦) ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل حاول السلطان قطز حاكم مصر (٦٥٥-٦٥٨هـ/١٢٥٧-١٢٥٩م) إعادة الخلافة العباسية إلى بغداد سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م بعد انتصاره في معركة عين جالوت على الجيش المغولي (١٧) فبعث الأمير عيسى بن مهنا الى السلطان قطز يخبره بوجود امير عباسي يقيم عنده فبعث السلطان قطز بدوره رسالة

الى الامير عيسى يطلب منه ارسال ابي العباس الى دمشق فبعد وصوله الى دمشق قال السلطان قطز للامير ابن مهنا "اذا رجعنا الى مصر أنفذه إلينا لنعيده ان شاء الله" ولكن هدف السلطان قطز لم يتحقق لمقتله على يد السلطان الظاهر بيبرس لذلك عاد الأمير العباسي مرة ثانية إلى الحدود الفراتية [١٨] .

ومع فشل الملك الناصر والسلطان قطز لإقامة خلافة عباسية سواء في دمشق أم في مصر ، إلا أن المشروع بقي قائما حتى تولى الظاهر بيبرس السلطنة في مصر (٦٥٩-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م) واقسم له المماليك يمين الطاعة والولاء ، حيث أدرك انه لا يمتاز عن غيره من المماليك ولابد انهم سيفعلون به ما فعلوه بمن سبقوه فبدأ يبحث عن سند قوي كان يتمثل بالجانب الديني ليتمكن من الوقوف بوجه أعدائه من جهة[١٩]، وإضفاء صفة شرعية على حكمه كما فعل أسلافه من المماليك الأتراك من جهة أخرى وان اختلفت أساليبهم عما اتبعه السلطان بيبرس[٢٠]، الذي هدف في الوقت ذاته إلى توسيع رقعة مملكته لتشمل الأراضي المقدسة في بلاد الحجاز، فضلا عن ذلك أراد أن يقف بوجه أطماع المماليك الآخرين بل ان المماليك كانوا يشعرون بأنهم غير اصلاء وانهم اغتصبوا الحكم في مصر وبلاد الشام من أصحابه الشرعيين فإحياء الخلافة العباسية يعطي حكمه صفة شرعية [٢١] ، فارسل في سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م إلى أحد أفراد البيت العباسي وهو احمد بن الإمام الظاهر الذي تمكن من الهرب من بغداد ليبايعه بالخلافة وطلب منه القدوم إلى مصر وأن يأخذ منه عهداً بحكم مصر[٢٢] ، والحقيقة ان الظاهر بيبرس أراد من وراء تلك الخطوة إحياء الخلافة العباسية أولا، ودعم مركزه من خلال اعتراف الخليفة بحكمه ثانياً[٢٣].

وبناءً على ذلك الطلب توجه أبو العباس إلى دمشق ، وفي الوقت ذاته علم ان شخصاً آخر ينتمي إلى البيت العباسي يدعى أبا القاسم احمد قد سبقه في الوصول الى القاهرة بثلاثة أيام ، فعاد أدراجه إلى حلب خوفاً من إلقاء القبض عليه من قبل المماليك ، وكان مع ابي العباس عدد من الأتراك فتوجه من حلب إلى مدينة سلمية[٢٤] فوجد أهلها متحصنين خوفاً من نائب حلب الأمير شمس الدين العزيزي الذي انتهز فرصة وجود أبي

العباس ، فاخذ البيعة له ولقبه الحاكم بأمر الله ثم توجه إلى حران[٢٥] لاخذ البيعة من الشيخ شهاب الدين بن تيمية والد شيخ الاسلام ابن تيمية[٢٦].

وعلى ما يبدو ان العزيزي أراد من هذا الأمر التمرد على السلطة المركزية في القاهرة واعلان الانفصال عنها ، لانه أدرك أن وجود أحد أفراد البيت العباسي يعطي له سنداً قويا في حالة قيام الخلافة العباسية في بلاد الشام .

وقد أشار النويري إلى كيفية وصول الإمام أحمد إلى القاهرة وذكر انه كان في سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م ، ورد كتاب علاء الدين طيبرس ، والأمير علاء الدين البندقدار الوزيرين لنائب دمشق مضمونه "انه وصل الى جهة دمشق في أول الغوطة رجل ادعى انه احمد بن الإمام الظاهر بن الإمام الناصر ومعه جماعة من عرب خفاجة في قريب من خمسين فارسا") ومما يؤكد هذا ان الأمير سيف الدين قليج البغدادي عرف أمراء العرب وقال "بهؤلاء يجعل القصد من العراق"[٢٧]، بينما يذكر المقريزي ان تلك الشخصية العباسية التي وصلت الى دمشق كان اسمها أبو القاسم احمد الأسمر بن الإمام الظاهر بن الإمام الناصر ، وبهذا النسب يكون عم المستعصم بالله واخا المستنصر بالله[٢٨]، ويذكر ابن الحنبلي ان المستنصر كان محبوساً في بغداد من قبل التتار فلما أطلق سراحه توجه الى بلاد الشام[٢٩] ، والذي يمكن ملاحظته من خلال الروايات المذكورة أنفاً انها جميعاً أجمعت على ان نسب هذا الخليفة يعود الى الامام الناصر لدين الله .

وبناءً على تلك المعلومات المهمة التي وصلت الى السلطان الظاهر بيبرس أرسل إلى نائبيه في بلاد الشام اللذين ارسلا له رسالتهما يأمرهما ان يقوما بخدمته وتعظيم أمره وان يرسلاه إليه مع توفير الحماية الكاملة له [٣٠] .

بعد كل تلك التوصيات المهمة بحق الشخصية العباسية ، توجه نحو القاهرة في رجب سنة ٦٥٩هـ/١٢٦٠م ، وعند وصوله الى مشارفها خرج السلطان الظاهر بيبرس شخصياً لمقابلته بمظاهر الإجلال والتقدير ، ومعه كبار رجال دولته منهم الوزير بهاء الدين بن حنا وقاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعز والشيخ عز الدين عبد العزيز[٣١] وسائر الأمراء وجميع العسكر ، فضلا عن خروج اليهود بالتوراة والنصارى بالإنجيل وزينت

القاهرة بالشعار العباسي الرايات السود، فانزل في مكان خاص يليق به كان قد هيء له مسبقاً[٣٢] .

والحقيقة أن السلطان الظاهر بيبرس أراد أن يتأكد من صحة نسب الإمام العباسي من اجل ان يعينه خليفة في مصر ، فبعد مضي ثلاثة أيام على وصول الإمام عقد له اجتماعاً بقاعة الأعمدة لاثبات نسبه وقد حضر أثناء إقرار النسب كلٌ من قاضي القضاة تاج الدين ونواب السلطان والفقهاء وأكابر المشايخ واعيان الصوفية[٣٣] ولما اكتمل الجمع وبوجود السلطان شهد العرب المرافقون له وخادم البغاددة (أي من بغداد) بصحة نسبه الى البيت العباسي ، وان الإمام احمد هو ابن الإمام الظاهر وشهد له بالاستفاضة[٣٤] القاضيان جمال الدين يحيى و صدر الدين موهوب الجزري وغيرهما من القضاة والفقهاء ، فاقر النسب قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعز[٣٥] وأطلق عليه لقب (المستنصر بالله) (٦٥٩-٦٦٠هـ/١٢٦١-١٢٦٢[٣٦] وأمر السلطان الظاهر بيبرس ان ينقش اسم الخليفة على السكة وأن يخطب له على المنابر[٣٧] .

وعلى الرغم من حرص السلطان الظاهر بيبرس على إثبات نسب الخليفة العباسي الجديد ، إلا أن الذي يفهم من بعض نصوص المؤرخين أن نسبه كان فيه بعض الشك ، فيروي أبو الفدا انه في رجب سنة ٦٥٩هـ/١٢٦٠م قدم إلى مصر جماعة من العرب ، ومعهم شخص اسود اللون اسمه احمد وزعم اصحابه الذين كانوا معه انه الإمام الظاهر بالله وهو عم المستعصم بالله[٣٨] في حين يذكر ابن إياس ان الإمام الظاهر كانت أمه حبشية[٣٩]، ومما يؤكد ذلك ان هذا الشك انتشر بين عامة الناس بالقاهرة بدليل انهم لقبوا الخليفة المستنصر بلقب (الزراتيني ، الزراتيقي ، الزرابيني)، وكان هذا اللقب في مصر يطلق على الشخص الاسود[٤٠].

ومهما يكن من امر حول صحة نسب الخليفة إلا ان السلطان الظاهر بيبرس كان في حاجة ماسة إلى دعم مركزه ، فبعد إقرار نسب الخليفة ، بدأت عملية المبايعة فكان أول من بايعه بالخلافة قاضي القضاة تاج الدين ومن ثم السلطان الظاهر بيبرس على العمل "بكتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله واخذ أموال الله بحقها وصرفها في مستحقها"[٤١] ،

ثم قام الشيخ عز الدين بن عبد السلام بمبايعة الخليفة ، فلما تمت البيعة قلد الإمام المستنصر بالله السلطان الظاهر حاكم البلاد الإسلامية يضاف إليها ما سيفتحه الله على يديه من بلاد الكفار واستمراراً لعملية البيعة تقدم الناس فبايعوا الخليفة ، وفي المقابل كتب السلطان بيبرس الى الملوك والنواب في سائر الممالك ان ياخذوا البيعة للخليفة المستنصر بالله ابي القاسم احمد بن الإمام الظاهر ، وان يدعى له على المنابر ثم يدعى للسلطان بعده [٤٢] ، وتجسيدا لذلك خطب الخليفة يوم الجمعة بالناس فأثنى على السلطان الظاهر بيبرس في إحياء الخلافة العباسية في القاهرة[٤٣]، وعندما راى بيبرس انه في حاجة ماسة الى تثبيت نفسه لمواجهة اعدائه من امراء المماليك طلب من الخليفة المستنصر بالله أن يعطيه تفويضا شرعيا يستند اليه في حكمه وان يمنحه التقليد بولاية مصر والشام والحجاز واليمن والعراق وما يتجدد من فتوحاته ،وفي مقابل ذلك التقليد طلب الخليفة من السلطان بيبرس أن يعيد الخلافة إلى بغداد قائلا له "وبك يرجى ان يرجع مقر الخلافة إلى ما كان عليه في الأيام الأول فأيقظ لنصرة الإسلام..."[٤٤].

بعد ان اطمأن السلطان بيبرس على سلطته قرر تنفيد طلب الخليفة المستنصر بالله لاعادة مقر الخلافة العباسية إلى بغداد لذا جهز حملة عسكرية في رمضان بلغ عدد مقاتليها ٢٧٠٠ للتوجه إلى بلاد الشام ، واثناء انطلاق الحملة سار الخليفة والسلطان بيبرس ، فضلا عن اشتراك أبناء امير الموصل مع تلك الحملة[٤٥]، وعند وصولها الى دمشق عزم السلطان بيبرس ان يزود الحملة بمقاتلين اضافيين ، فتم ذلك حتى بلغ عددها عشرة الاف مقاتل ، من اجل الاستعداد الكامل للتوجه نحو العراق لمقاتلة التتار واعادة ملك العباسيين[٤٦].

والجدير بالذكر ان الظاهر بيبرس لم يف بعهده للخليفة المستنصر بالله بتسيير الحملة معه ، وكان السبب في تغيير رأيه هو ان أحد ابناء امير الموصل قد وشى للسلطان ونصحه بالعدول عن فكرة اعادة الخلافة العباسية الى بغداد ، لما يترتب على ذلك من هدم سلطنته في مصر وبلاد الشام لو تم فعلا القضاء على المغول واعادة ملك العباسيين ، ويعلق المقريزي على ذلك ذاكراً قول ابن امير الموصل للسلطان بيبرس "فان الخليفة اذا استقر أمره ببغداد نازعك واخرجك من مصر"[٤٧].

لذلك قرر السلطان ان يزود الخليفة بثلاثمائة مقاتل بدلا من عشرة الاف مقاتل من العرب والترك بقيادة المع قادة الجيش المملوكي وهم بلبان الرشيدي وشمس الدين سنقر الرومي وان يسيروا الى حلب متوجهين الى الفرات واذا ورد اليهما كتاب الخليفة وهو يامرهم بالمسير اليه فعليهم التوجه الى السلطان(٤٨).

كان السلطان بيبرس ينوي فعلا احياء الخلافة العباسية في بغداد لولا أنه غير موقفه بعد ان نصحه احد ابناء امير الموصل ولذلك لم يرغب في ان يزجّ اكبر عدد من جيشه لمقاتلة المغول فاذا كانت النتيجة عكسية بخسارته في تلك المعركة ، فان هذا يهدد كيان دولته، لذا اراد الحفاظ على جزء من قواته العسكرية فارسل قوة صغيرة مؤلفة من ثلاثمائة مقاتل وفاءً بعهده للخليفة(٤٩).

بعد اتخاذ الاجراءات الكاملة لتجهيز الحملة ودع السلطان الخليفة الذي توجه على رأس هذه القوة لمقاتلة المغول في الثالث عشر من ذي القعدة ومعه أبناء امير الموصل ، الا انهم فارقوه اثناء الطريق اذ توجه كل منهم الى مملكته ، فوصل الخليفة الى مدينة الرحبة(٥٠).

فقدم اليه الامير علي بن حذيفة من ال فضل باربعمائة فارس من العرب ، فضلا عن وصول امدادات اخرى اليه من الامير عز الدين بركة صاحب حماة في ثلاثين فارسا ، وبعد تكامل الامدادات توجه الخليفة بتلك القوة المتواضعة نحو منطقة مشهد علي شمال حلب وهناك وجد رجلا يدعي انه من بني العباس وقد اجتمع اليه سبعمائة فارس من التركمان جهزهم اليه الامير اقوش البرلي من حلب فبعث الخليفة المستنصر بالله الى التركمان فاستمالهم اليه ، وارسل الى الرجل العباسي ايضا واقنعه في اجتماع الكلمة واقامة الدولة العباسية من جديد(٥١).

وعلى الرغم من ذلك فقد اشار الذهبي الى ان الخليفة المستنصر خدع الرجل العباسي من خلال قوله "فاعمل بحيلة وافسد التركمان على الحاكم ، ودخل الحاكم بطاعته وانقاد له"(٥٢).

وعلى ما يبدو كانت هناك مراسلات بين الخليفة والسلطان اذ كتب الخليفة يخبر السلطان بانه وصل بقوته الى عانة وحديثة متوجها نحو هيت(٥٣)، وسيطر عليها(٥٤)، وفي

اثناء ذلك وصلت رسائل من اهل العراق يطالبون بتقديم المساعدة لهم وتخليصهم من الاحتلال المغولي[٥٥]، وفي المقابل توجه القائد المغولي كرابقا من بغداد ساعياً لمقاتلة جيش المستنصر بالله فاتجه نحو الانبار ودخلها وقتل من كان فيها وبعد ذلك التقى الجيشان غير المتكافئين ، مما اضطر الخليفة المستنصر الى تقسيم جيشه على قسمين فجعل التركمان والعرب على طرفي العسكر واختص هو ومن معه في القلب وانقض على الجيش المغولي وهزمهم في بداية الامر، الا ان عنصر الخيانة لدى بعض افراد جيشه حول النصر الى هزيمة ، فيذكر المقريزي معلقا على ذلك "وخذله العرب والتركمان فلم يقاتلوا"[٥٦]، فكانت النتيجة ان خرج عليه كمين من المغول فانهزم العرب والتركمان ومعهم الامير أبو العباس احمد فبقى هو وعدد قليل من جيشه فاحاط بهم المغول فقتلوا من كان في ساحة المعركة وجرح الباقي[٥٧]، أما الخليفة المستنصر بالله فقد نجا من ميدان المعركة مجروحا فتوجه الى جماعة من العرب فمات عندهم وبهذا كانت مدة خلافته في القاهرة اقل من سنة [٥٨] .

ومن الجدير بالذكر ان المأساة الاليمة التي حلت بالخليفة المستنصر بالله كان سببها الخيانة من قبل أبي العباس الذي دبر تلك المؤامرة فحاول اقناع عناصر الجيش من العرب والترك بعدم القتال في المعركة يدفعه الى ذلك عامل الانتقام عندما التقى اول مرة مع الخليفة المستنصر بالله الذي استمال اصحابه وخدعه ايضا فانقاد له في نهاية الامر .

لم ينج من تلك المعركة سوى الامير العباسي احمد ومعه خمسون فارسا[٥٩]، وعندما علم السلطان الظاهر بيبرس بوصوله الى دمشق ارسل اليه يستدعيه الى القاهرة وتلبية لطلب السلطان توجه الامير العباسي ومعه ابنه[٦٠]، فوصلا القاهرة في ١٧ ربيع الثاني سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م[٦١]، فاحتفل السلطان بيبرس بلقائه وانزله في البرج الكبير بقلعة الجبل كما فعل ذلك مع الخليفة المستنصر بالله وجهز له كل ما يحتاج[٦٢].

وفي الخامس عشر من رجب وصل جماعة من البغاددة[٦٣] بقيادة الامير سيف الدين سلار [٦٤] الذين نجوا من مذبحة المغول ، فاكرمهم السلطان في القاهرة[٦٥] ومنحهم جزءاً من الاقطاعات في مصر[٦٦].

وفي الثامن من محرم امر السلطان بيبرس بعقد اجتماع عام بقلعة الجبل لاثبات نسب الخليفة احمد[٦٧]، فحضر الشهود فقرئ نسبه على الناس ، فاثبت نسبه من قبل القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز ولقبه بالحاكم بأمر الله (٦٦١-٧٠١هـ/ ١٢٦٢-١٣٠١م)[٦٨]، وبعد تلك الاجراءات بايعه السلطان بيبرس بالخلافة وعلى العمل بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله[٦٩]، وفي المقابل قلد الخليفة السلطان الظاهر بيبرس امور البلاد ولقبه بـ"قسيم امير المؤمنين"[٧٠].

تقدم الناس لمبايعة الخليفة الجديد ، وهذا ما اكده المقريزي من خلال قوله : "فلم يبق ملك ولا وزير ولا قاض ولا مشير ولا فقيه الا وبايعه"[٧١]، وخطب له على المنابر في مصر وبلاد الشام[٧٢]، وفي اليوم الثاني اجتمع الناس وحضر السلطان بيبرس خطبة الخليفة الحاكم بامر الله وصعد المنبر لخطبة الجمعة فقال : "الحمد لله الذي اقام لكل بني العباس ركناً ظهيراً، وجعل لهم من لديه سلطاناً ونصيرا ، واحمده على السراء والضراء... فلو شاهدتم أعداء الاسلام حين دخلوا دار السلام ، واستباحوا الدماء والاموال ... وهتكوا حرم الخليفة ... وهذا السلطان الملك الظاهر السيد الأجلّ العالم العادل المجاهد ... قد قام بنصر الإمامة عند قلة الانصار ، وشرد جيوش الكفر بعد ان جاسوا خلال الديار ..."[٧٣]، وبعد ان انهى الخليفة خطبته امر السلطان الظاهر بيبرس ان يخطب للخليفة الحاكم بامر الله على منابر مصر وبلاد الشام وكتب الى الاعمال بذلك[٧٤].

لقد كان السلطان الظاهر بيبرس يمتلك من الحنكة السياسية الشيء الكثير ، فاراد من خلال ذلك ان يبين للخليفة بأن امور الدولة كلها بيده ، فوجه انذاراً غير مباشر للخليفة ، اذ ما حاول التمرد مستقبلاً على السلطان بيبرس ففكر في جمع أبناء البيت العباسي بمصر لتجنب خطر التجاء بعضهم الى احد ملوك الاسلام فيعلن خلافته مثلما فعل الأمير اقوش البرلي في حلب مع الخليفة الحاكم بامر الله عندما بايعه بالخلافة ، فاصبح هناك خليفتان في وقت واحد في مصر وفي بلاد الشام يدل على ذلك قدوم شخصين الى السلطان بيبرس وهو بدمشق سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م ، ادعى احدهما انه مبارك بن الخليفة المستعصم ومعه جماعة من امراء العرب وادعى انه أحق بالخلافة من الحاكم بامر الله

فعرضه السلطان على الاميرين جلال الدين بن الدوادار والطواشي مختار فتبين أنّ نسبه غير صحيح الاّ ان السلطان بعثه الى مصر كاجراء احتياطي ، اما الشخص الثاني فكان أسود اللون وادعى انه من اولاد الخلفاء فبعثه السلطان بالامر ذاته[٧٥].

والذي يمكن ملاحظته أن ادعاءات هؤلاء بانتمائهم الى ذرية الخليفة العباسي المستعصم هي غير صحيحة ، والدليل أن هولاكو عندما اقتحم بغداد قام بقتل الخليفة واولاده.

وبهذا احييت الخلافة العباسية للمرة الثانية في القاهرة واستمرت قرنيين ونصف قرن، وما ترتب على هذا الامر من نتائج مهمة انعكست على الدولة المملوكية اذ اصبحت القاهرة المركز الديني والسياسي والعسكري والثقافي للعالم الاسلامي بدلا من بغداد وهذا ما اكسبها مكانة روحية وسياسية لدولة المماليك فضلا عن اكتسابها اهمية في نظر المسلمين كافة لكونها حاضرة الخلافة العباسية[٧٦].

اما بالنسبة الى مكانة الخليفة في الدولة المملوكية فهي تعد من الامور المهمة لحياة الخليفة وسلطته كخليفة للمسلمين عامة فبعد ان اصبحت مصر مقر الخلافة العباسية وقلب العالم الاسلامي النابض اصبح وضع الخليفة العباسي ذليلا اذ لم يكن الخليفة سوى لعبة بيد السلطان المملوكي يحركها كيف ما يشاء فلم يكن الخليفة العباسي الا مظهرا خداعا اوجده المماليك حتى يدفعوا به انظار الطامعين في السلطة وان يقضوا على الشكوك في احقيتهم بالحكم ، وليس ذلك فحسب بل لم يبق للخليفة دور فعلي في الحكم سوى حضور حفلات السلطنة وولاية العهد ولا يحق له التدخل في شؤون الدولة المملوكية الا قليلا وخاصة في تنصيب السلطان ، ويعلق عاشور على الحالة التي وصلت اليها الخلافة العباسية آنذاك قائلا: "ليس فيها امر ولا نهي وحسبه ان يقال له امير المؤمنين"[٧٧] ، بل ان الخليفة كان سجينا تقريبا في مكانه الذي خصص له في ابراج القلعة[٧٨] .

لقد كانت معاملة السلطان بيبرس للخليفة الحاكم خير دليل على اهدافه الحقيقية من إحياء الخلافة العباسية ، فقد بذل جهده من اجل اضعاف الخليفة حتى يصبح كما أراد له رمزا دينيا دون ان يكون له سلطة دنيوية ، فقد منع الخليفة من الظهور في أوساط المجتمعات العامة ليبقى بعيدا عن الناس ورجال الحكم ، وليس ذلك فحسب بل وصل

الامر الى عدم اخذه تفويضا منه بولاية العهد لابنه الملك السعيد وانما أصدر بنفسه التفويض وجاء فيه "ولا تدبير ملك كلي بنا او بولدنا ليعمل"[٧٩]، ولذلك فقد رضخ للامر الواقع بعد ان أدرك انه لا جدوى من المناقشة او محاولة مقاومة السلطان فقنع بما خصص له السلطان من راتب شهري[٨٠] وفي الواقع أن معظم سلاطين المماليك عُنوا بالخليفة العباسي من اجل الحصول على تفويض منه بالحكم هذا من جانب ومن جانب آخر كان السلاطين المماليك يستميلون الخليفة الى جانبهم ولاسيما في الوقت الذي يتعرضون فيه لضرر ما من قبل أي امير ثائر ولم يقف الامر عند هذا الحد بل طلبوا من الخليفة أن يخرج مع الجيش وخاصة في حالة الحرب لرفع الروح المعنوية لدى الجنود وكذلك لإضفاء روح من التبرك عليهم[٨١] .

اما عن موقف العالم الإسلامي من الخلافة العباسية في القاهرة وهل حظيت بتأييد كما في بغداد ، فعلى ما يبدو ان الخلافة العباسية لم يكن لها الدعم الكافي والتاييد بل انقسم المسلمون بين مؤيد ومعارض لقيامها في القاهرة ، لذلك فان نفوذ الخليفة العباسي لم يمتد خارج مناطق سلطة المماليك ، والاهم من ذلك أن معظم حكام الامارات الاسلامية لم يعترفوا بالخليفة العباسي في القاهرة ، ولم يدعوا له على المنابر كما كان الخليفة في بغداد ، بل ان اميري مكة والمدينة ، وهما يمثلان قلب العالم الاسلامي ، لم يؤيدا الخلفاء العباسيين في القاهرة الا خليفة واحداً وهو المستعين بالله (٨٠٨-٨١٥هـ/١٤٠٥-١٤١٢م) ، فضلا عن ان كثيراً من المسلمين ابدوا سخريتهم من الخليفة العباسي في القاهرة وكذبوا ادعاءاته وشككوا في نسبه الى البيت العباسي [٨٢] بل ان بعض المسلمين رأوا ان الخلافة لم تدم اكثر من ثلاثين سنة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مستندين الى حديث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ((الخلافة في امتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك))[٨٣]، ويعلق المقريزي قائلاً "ان الخلافة اصبحت ملكية مطبوعة بطابع العنف والاستبداد بعد الخلفاء الاربعة"[٨٤]، في حين اشار الخربوطلي الى ان الخلافة انتهت بصورة حاسمة منذ وفاة اخر خليفة عباسي في بغداد على ايدي المغول ، وان الخلفاء في القاهرة لم يبق لهم من الخلافة سوى اسمها فقط [٨٥] واستمراراً لعملية المعارضة ضد الخلافة في القاهرة من قبل الحكام المسلمين فقد وجدوا ان التلقب بلقب الخلافة لابد ان يكون في شخص واحد

ومـن النسـل العباسـي ، فحصـل ان ابـا عبـدالله الحفصـي حـاكم تـونس (٦٤٧-٦٧٦هـ/١٢٤٩_١٢٧٧) تلقب بلقب الخليفة دعما لـه من شريف مكـة ، بل ان فـي سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م عندما سقطت دولـة الموحدين تلقب ابو عنـان حاكم الدولـة المرينيـة فـي مراكش بلقب خليفة أيضاً[٨٦] .

أما على مستوى الحكام الذين دخلوا في الاسلام مثل المغول ، فكانت علاقتهم بالخلافة متأرجحة ما بين التأييد المطلق وبين عدم اعطاء الاهمية للخلافة ، فالمغول بعد دخولهم الاسلام ارادوا ابدال نظمهم القبلية بالشريعة الاسلامية الا انهم لم يُعنوا مطلقا بان يحصلوا على تفويض من الخلافة العباسية في القاهرة[٨٧].

أما ملوك الهند فكانوا على عكس المغول فقد اعترف معظمهم بالخلفاء العباسيين بل أنهم حاولوا الاعتماد عليهم في تدعيم سلطتهم، إذ بعث احد ملوكهم وهو باهمان شاه ملك الدكن الى الخليفة المعتضد بالله (٧٤٨-٧٦٣هـ/١٣٤٧-١٣٦١م) يطلب منه ان يعترف به ملكا على بلاده في سنة ٧٥٦هـ / ١٣٥٦م فتم له ذلك كما ارسل محمد بن تغلق إلى الخليفة المستكفي بالله (٨٤٥-٨٥٥هـ/١٤٤١-١٤٥١م) يطلب منه تفويضا بالحكم، فضلا عن إرساله الهدايا الثمينة وانه أمر بالدعاء على المنابر للخليفة ونقش اسمه على السكة، اما السلطان العثماني بايزيد الاول (٧٩٢- ٨٠٦هـ/١٣٨٩-١٤٠٣م) فقد ارسل في سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٤م الى الخليفة العباسي المتوكل بالله (٧٩١-٨٠٨هـ/١٣٨٨-١٤٠٥م) يلتمس منه ان يمنحه لقب سلطان[٨٨] في الدولة العثمانية[٨٩].

وبذلك استمرت الخلافة العباسية في القاهرة قرنين ونصف قرن، كان الخليفة خلالها رمزاً دينياً مجرداً من جميع السلطات الدنيوية التي كانت بيد الملوك الايوبيين ومن بعدهم سلاطين المماليك حتى تمكنت الدولة العثمانية من احتلال مصر في سنة ٩٢٢هـ / ١٥١٦م[٩٠].

هوامش البحث

(١) بيتر توراو ، الظاهر بيبرس ، ترجمة : محمد جديد (عمان : ٢٠٠٢م) ، ص ١١٣ ؛ فؤاد عبد المعطي الصياد ، المغول في التاريخ (بيروت : ١٩٨٠م) : ٢٧٩/١ .

(٢) عماد الجواهري ، صراع القوى السياسية في المشرق العربي من الغزو المغولي حتى الحكم العثماني (الموصل : ١٩٩٠م) ، ص ١٧ .

(٣) لقد نقلت الخلافة العباسية من بغداد الى اقليم خرسان في عهد الخليفة المأمون ودامت تسع سنوات ومن ثم عادت الى بغداد سنة (٢٠٤هـ/ ٨١٩م) وفي عهد الخليفة المعتصم نقل مقر الخلافة الى سامراء . للمزيد من التفاصيل ينظر : احمد مختار العبادي ، في التأريخ العباسي والفاطمي (بيروت : ١٩٧١م) ، ص ١٠٢، ١١٧ .

(٤) أحمد بن طولون : هو تركي الاصل من سبي فرغانة ارسله نوح بن سامان عامل بخارى هدية الى المأمون فتدرج في المناصب حتى اصبح من امراء العسكر . للمزيد من التفاصيل عن هذه الشخصية ودورها السياسي والعسكري . ينظر : سهيل زكار ، تاريخ العرب منذ ما قبل المبعث وحتى سقوط بغداد (بيروت : ١٩٧٥م) ، ص ٣٩٩؛ خاشع المعاضيدي واخر ، تاريخ الدويلات العربية الاسلامية في المشرق والمغرب (بغداد : ١٩٧٩م) ، ص ٢٧٦.

(٥) المعاضيدي ، تاريخ الدويلات ، ص ٢٢٧؛ العبادي في التاريخ ، ص١٣٣.

(٦) العبادي ، قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام(الاسكندرية : ١٩٨٢م) ، ص١٨٠–١٨١ ؛ في التاريخ ، ص١٣٤ .

(٧) محمد الاخشيدي : هو مؤسس الدولة الاخشيدية في مصر والشام والحجاز ، والاخشيد باللغة التركية تعني ملك الملوك توفي سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م . ينظر : عماد الدين ابو الفداء اسماعيل ، البداية والنهاية ، تحقيق : احمد بن شعبان واخر (القاهرة : ٢٠٠٣م) : ١٨٥/١١ ؛ شهاب الدين ابو الفلاح ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، تحقيق :مصطفى عبد القادر عطا (بيروت:١٩٩٨م) : ٤١/٣ .

(٨) بعد ان ساءت العلاقة بين الخليفة المتقي وبين امير الامراء السلجوقي توزون بعد توليه المنصب (٣٣١هـ/ ٩٤٢م) اضطر الخليفة الى مغادرة بغداد متوجهاً نحو

الموصل طالباً المساعدة من الحمدانيين سنة (٣٣٢هـ /٩٤٣م) للمزيد من التفاصيل ينظر : عز الدين ابي الحسن بن الاثير ، الكامل في التاريخ ، تحقيق : خليل مأمون شـحا (بيـروت ٢٠٠٢م): ٦ /٤٧٨، ٤٨٣ ؛ المعاضـيدي ، تـاريخ الـدويلات ، ص٢٤٩-٢٥٠ .

(٩) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ٤٩١/٦ ؛ العبادي ، قيام دولة ، ص ١٨١ .

(١٠) طارق فتحي سلطان ، التاريخ الاسلامي في العصر العباسي ٣٣٤-٦٥٦هـ/٩٤٥-١٢٥٨م (موصل :٢٠٠٦م) :٢٠١/٢ ؛

W.B. Stevenson , The Crusaders in the East (london :1965) , p.333.

(١١) جنكيزخان : يعد من ابرز قادة المغول وقد اختار لنفسه هذا الاسم ، واسمه الحقيقي تموجين ومعناه في اللغة الصينية الصلب الخالص ، وقد تمكن تموجين بعد حروب ومنازعات مع ابناء جنسه من تولي زعامة المغول سنة ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م. ينظر : العبادي ، قيام دولة ، ص ١٤٥ ؛ الصياد ، المغول: ٢٧٩/١ .

(١٢) اصدر هولاكو اوامره بالتقدم نحو بغداد فتوجه بايجو من اسيا الصغرى وامره ان يعبر نهر دجلة بالقرب من الموصل وان يلتقي بجيوش بكاتيمور ، اما القائد كتبغا فدخل ايران متوجهاً نحو العراق عن طريق لورستان . للمزيد من التفاصيل عن سير القوات المغولية. ينظر : ريجارو كوك ، بغداد مدينة السلام ، ترجمة : فؤاد جميل (بغداد:١٩٦٢م):٢١٤/١ وما بعدها .

(١٣) قال الشاعر تقي الدين بن ابي اليسر عن احتلال بغداد :

لسائل الدمع عن بغداد اخبارها　فما وقوفك والاحباب قد ساروا
يا زائرين الى الزوراء لا تفدوا　فما بذاك الحمى والدار ديار
تاج الخلافة والربع الذي شرقت　به المعالم قد عفا اقفار
يا نار قلبي من نار الحرب وغى　شبت عليه وراضى الربع اعصار

منير العجلاني ، عبقرية الاسلام في اصول الحكم (دمشق : د.ت) ، ص ١٥٠؛ الجواهري ، صراع القوى ، ص ١٧.

(١٤) يذكر ان الخليفة العباسي قتل ومعه ابناؤه ابو العباس احمد وابو الفضائل عبد الرحمن وعدد من حاشيته ، اما عن الطريقة التي قتل بها الخليفة ، فيقال انه وضع في عدل وتم رميه في اسطبل للخيل فرفس حتى مات . للمزيد ينظر : علي حسني الخربوطلي ، الاسلام والخلافة (بيروت : ١٩٦٩م) ، ص ٢٧٧ ؛ توراو ، الظاهر بيبرس ، ص١١٤.

(١٥) زين الدين عمر بن الوردي ، تاريخ ابن الوردي (د.م :١٩٦٩م) :٢ /٢٧٩ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، العصر المماليكي في مصر والشام ، ط٢ (القاهرة : ١٩٧٦م) : ص ٣٥٤ ؛ توراو ، الظاهر بيبرس ، ص ١١٤ .

(١٦) العبادي ، قيام دولة ، ص ١٨١ ؛

Stevenson , The Crusaders , p. 333 .

(١٧) عين جالوت :مدينة بين بيسان ونابلس وهي من اعمال فلسطين . ينظر : شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ط٢ (بيروت :١٩٩٥م) : ١٧٧/٤ .

(١٨) الخربوطلي ، الاسلام والخلافة ، ص ٢٢٨ ؛ عاشور ، العصر المماليكي ، ص٣٥٤ ؛

Stevenson , The crusaders , p. 334.

(١٩) محيي الدين بن عبد الظاهر ، تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق : مراد كامل (القاهرة : ١٩٦١م) ، ص ٣٩ ؛ ستيفن رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : الباز العريني ، ط٢ (بيروت : ١٩٨٠م) : ٣ /٥٣٦-٥٣٧ .

(٢٠) كان الاتراك يدعون انهم حكموا مصر كاوصياء على الامراء الايوبيين الاطفال فحكم ايبك مصر ، وصيا على طفل ايوبي من احفاد صلاح الدين ، اما قطز ، فكان وصيا على امير صغير ، الا ان السلطان بيبرس راى ان يستند الى الخلافة

العباسية في توطيد دعائم حكمه . ينظر : الخربوطلي ، الاسلام والخلافة ، ص ٢٣٠ .

(٢١) الخربوطلي ، الاسلام والخلافة ، ص ٢٣١ .

(٢٢) ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام ، ص ٣٩ .

(٢٣) جلال الدين السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق :عبدالله المنشاوي (المنصورة:٢٠٠٣م)، ص ٤٣٩ ، عبدالله بن اسعد بن علي اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (القاهرة : ١٩٩٣م) : ٤/١٥١ .

(٢٤) سلمية : بلدة صغيرة وهي من اعمال حماة بينهما حوالي ٧٠ كم . للمزيد . ينظر: الحموي ، معجم البلدان : ٣/ ٢٤٠-٢٤١ .

(٢٥) حران : مدينة بين الموصل وبلاد الشام . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : ٢ / ٢٣٥.

(٢٦) شمس الدين محمد بن احمد الذهبي ، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت : ٢٠٠٥م) : ١٤/ ٣٨-٣٩ .

(٢٧) شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : نجيب مصطفى فواز وآخرين (بيروت : ٢٠٠٤م) : ١٤/٣٠ ؛ تقي الدين ابو العباس المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا (بيروت : ١٩٩٧م) : ١/ ٥٢٨ .

(٢٨) المقريزي ، السلوك : ١ / ٥٢٨ ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي : ٢/٣٠٣ ؛ عماد الدين اسماعيل ابو الفدا ، المختصر في اخبار البشر ، تحقيق : محمود ديوب (بيروت : ١٩٩٧م) : ٢ / ٣٢٤ .

(٢٩) ابن الحنبلي ، شذرات الذهب: ٥/٤٣٣ .

(٣٠) المقريزي ، السلوك : ١ / ٥٢٨ .

(٣١) ابو الفدا ، المختصر: ٢ / ٣٢٤ .

(٣٢) المقريزي ، السلوك : ١/ ٥٢٨؛ محمد بن شاكر الكتبي ، عيون التواريخ ، تحقيق: فيصل السامر (بغداد : ١٩٨٠م) ، ص٢٥١ ؛ عاشور ، العصر المماليكي ، ص٣٥٥-٣٥٦ ؛ الخربوطلي ، الاسلام والخلافة ، ص٢٢٩ .

(٣٣) المقريزي ، السلوك : ١/ ٥٢٨ ؛ ابن الحنبلي ، شذرات الذهب : ٥ / ٤٣٣ ؛ عاشور ، العصر المماليكي ، ص٣٥٥-٣٥٦ ؛ الخربوطلي ، الاسلام والخلافة ، ص ٢٢٩ ؛ توراو ، الظاهر بيبرس ، ص ١١٤ .

(٣٤) الاستفاضة : فاض الخبر واستفاض أي شاع وهو حديث (مستفيض) اي منتشر في الناس ولا تقل مستفاض . ينظر : محمد بن ابي بكر الرازي ، مختار الصحاح ، تحقيق : محمود خاطر (بيروت : ١٩٩٥م): ١/٢١٦ .

(٣٥) المقريزي ، السلوك : ١/ ٥٢٨؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي : ٢ / ٣٠٤ ؛ الكتبي، عيون التواريخ ، ص ٢٥٢ .

(٣٦) لقب بهذا اللقب على لقب اخيه المستنصر بالله باني المدرسةالمستنصرية ببغداد وتسلسله الثامن والثلاثون من بين خلفاء بني العباس ؛ المقريزي ، السلوك : ١ / ٥٢٨ .

(٣٧) ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام ، ص ٣٩ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء،ص٤٦٥؛ توراو ، الظاهر بيبرس ، ص ١١٥ .

(٣٨) ابو الفدا ، المختصر : ٢/٣٢٤ ؛ العبادي ، قيام دولة ، ص ١٨٤ .

(٣٩) محمد بن احمد بن اياس ، بدائع الزهور في وقائع الشهور (القاهرة : ١٩٦٠م) ،ص ٨٣.

(٤٠) ابو الفدا ، المختصر : ٢ / ٣٠٤ ؛ المقريزي ، السلوك : ١ / ٥٢٨ ؛ العبادي ، قيام دولة ، ص ١٨٥ ؛ عاشور ، مصر في عصر ، ١٨١ .

(٤١) المقريزي ، السلوك : ١ / ٥٣٠ ؛ الخربوطلي ، الاسلام والخلافة ، ص ٢٢٩ ؛ توراو ، الظاهر بيبرس ، ص ١١٥ .

(٤٢) المقريزي ، السلوك : ١ / ٥٣٠ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص٤٦ .

(٤٣) الخربوطلي ، الاسلام والخلافة ، ص ٢٢٩-٢٣٠ .

(٤٤) ابن عبد الظاهر ، تشريف الايام ، ص ٣٩ ؛ محمد جمال الدين سرور ، دولة بني قلاوون في مصر (مصر : ١٩٤٧م) ، ص ٦٨-٦٩ .

(٤٥) لقد كان ابناء امير الموصل بدر الدين لؤلؤ هم الصالح اسماعيل واسحاق صاحب جزيرة ابن عمر والمظفر علي صاحب سنجار . للمزيد من التفاصيل ينظر : ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي : ٢ / ٣٠٥ ؛ الكتبي ، عيون التواريخ ، ص ٢٥٥ ؛ توراو، الظاهر بيبرس ، ص ١١٨ .

(٤٦) المقريزي ، السلوك : ١ / ٥٣٥-٥٣٦ ؛ سرور ، دولة بني قلاوون ، ص ٦٩ .

(٤٧) المقريزي ، السلوك : ١/ ٥٣٧ .

(٤٨) المصدر السابق : ١ / ٥٣٧ .

(٤٩) ابو الفدا ، المختصر: ٢ / ٣٢٤ ؛ المقريزي ، السلوك : ١ / ٥٣٧ .

(٥٠) الرحبة : مدينة تقع بين بغداد والرقة شرق نهر الفرات . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : ٣ / ٣٤-٣٥.

(٥١) المقريزي ، السلوك : ١ / ٥٣٧ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، تحقيق : بشار عواد معروف وآخرين (بيروت : ١٩٨٥م) : ٢٣/ ١٧١ .

(٥٢) تاريخ الاسلام :٣٧/١٤ .

(٥٣) هيت : مدينة بين الرحبة وبغداد تقع على شاطئ الفرات ومعناها الهوة وسميت نسبة الى هوة الارض أي المنخفضة وقيل سميت باسم بانيها هيت البلندي وهو من ابناء مدين بن ابراهيم عليهما السلام . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : ٥/٤٢٠-٤٢١ ؛ المقريزي السلوك : ١ / ٥٣٧ .

(٥٤) ابو الفدا ، المختصر : ٢ / ٣٢٤ .

(٥٥) ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي : ٢ / ٣٠٤ ؛ ابو الفدا ، المختصر : ٢ / ٣٢٤.

(٥٦) المقريزي ، السلوك : ١ / ٥٤١ .

(٥٧) المقريزي ، السلوك : ١ / ٥٤١ ؛ الذهبي ، سير اعلام : ٢٣ / ١٧١ ؛ العبادي ، قيام دولة ، ص ١٨٦–١٨٧ ؛ توراو ، الظاهر بيبرس ،ص ١١٨ .

(٥٨) السلوك : ١ / ٥٤١.

(٥٩) العبادي ، قيام دولة ، ص١٨٧.

(٦٠) الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ص ٣٧ ؛ الكتبي ، عيون التواريخ ، ص ٢٦٦ .

(٦١) المقريزي ، السلوك : ١ / ٥٤١.

(٦٢) المقريزي ، السلوك :٥٤٢/١ ؛ الكتبي ، عيون التاريخ، ص٢٨٧ ؛ العبادي ، قيام دولة المماليك ، ص ١٨٧ .

(٦٣) البغاددة : هم مماليك الخليفة المستعصم الذين فروا من مذبحة المغول بزعامة الامير سيف الدين سلار . ينظر : العبادي ، قيام دولة ، ص ١٨٨ .

(٦٤) سيف الدين سلار : من الامراء البارزين في الدولة المملوكية ، اشتراه الخليفة العباسي الظاهر بامر الله ثم انتقل الى خدمة الخليفة المستعصم ، فاصبح والياً على واسط والكوفة والحلة ، فبعد دخول المغول الى بغداد توجه الى مصر وعينه بيبرس والياً على نابلس ومن ثم اصبح امير طبلخانه في مصر . ينظر : المقريزي ، السلوك : ١ / ٥٤١؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي : ٢ / ٣٠٥ ؛ العبادي ، قيام دولة،ص١٨٨ .

(٦٥) المقريزي ، السلوك : ١ / ٥٤٢ .

(٦٦) ابو الفدا ، المختصر : ٢ / ٣٢٥ .

(٦٧) احمد بن علي بن حمد بن المسترشد ابو العباس الحاكم بامر الله ثاني خلفاء بني العباس في القاهرة ، نشأ في بغداد واختفى بعد دخول المغول اليها فتوجه الى حسين بن فلاح امير قبيلة خفاجة العربية . للمزيد من التفاصيل ينظر : المقريزي، السلوك : ١ / ٥٤٢.

(٦٨) ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي : ٢ / ٣٠٦ ؛ عبدالله بن فتح الغياثي ، التاريخ الغياثي، تحقيق : طارق نافع الحمداني (بغداد : ١٩٧٥ م) ، ص ٦٨؛ الكتبي ، عيون التواريخ ، ص ٢٨٧ ؛ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ٤٦٧ .

(٦٩) المقريزي ، السلوك : ١ / ٥٤٧ .

(٧٠) يعد بيبرس اول من لقبه الخليفة بهذا اللقب . ينظر : العبادي ، قيام دولة ، ص ١٨٨ .

(٧١) السلوك : ١ / ٥٤٧ .

(٧٢) العبادي ، قيام دولة ، ص ١٨٩ .

(٧٣) المقريزي ، السلوك : ١ / ٥٤٧–٥٤٨ ؛ ابن الحنبلي ، شذرات الذهب : ٥ / ٤٤٣ .

(٧٤) المقريزي ، السلوك : ١ / ٥٤٨ .

(٧٥) المقريزي ، السلوك : ٢ / ٣٦ .

(٧٦) فايد حماد عاشور ، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الاولى (القاهرة : ١٩٧٤م) ، ص٢٣ ؛ توماس ارنولد ، الخلافة ، ترجمة : جميل معلى (د . م : د. ت) ص ٤٩ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية (د.م : ١٩٧١م) : ٢ / ١١٤٣ .

(٧٧) سعيد عاشور ، مصر في عصر ، ص ١٨٣ .

(٧٨) العبادي ، قيام دولة ، ص ١٨٩ ؛ سعيد عاشور ، مصر في عصر ، ص ١٨٣ .

(٧٩) المقريزي ، السلوك : ١/ ٦٥٠.

(٨٠) الخربوطلي ، الاسلام والخلافة ، ص٢٣٥ .

(٨١) سعيد عاشور ، مصر في عصر ، ص ١٨٣–١٨٤ .

(٨٢) الخربوطلي ، الاسلام والخلافة ، ص ٢٤٦–٢٤٧؛سرور ، دولة بني قلاوون ، ص ١٠١ .

(٨٣) محمد بن عيسى ابو عيسى الترمذي ، سنن الترمذي (بيروت : د.ت) :٤/٣٠٥.

(٨٤) السلوك : ٣٧/٢ ؛ الخربوطلي ، الاسلام والخلافة ، ص ٢٤٧ .
(٨٥) الاسلام والخلافة ، ص ٢٤٧ .
(٨٦) اهدى ابن بطوطة كتابه المعروف باسم رحلة ابن بطوطة هدية الى حاكم الدولة المرينية، فكان يدعوه بالخليفة وامير المؤمنين ، وظل الله على ارضه . ينظر : الخربوطلي ، الاسلام والخلافة ، ص ٢٥١ .
(٨٧) الخربوطلي ، الاسلام والخلافة ، ص ٢٤٨ ؛ ارنولد ، الخلافة ، ص ٦٢ .
(٨٨) يلاحظ ان لفظ سلطان ظهر اول الامر في اواسط اسيا واستخدمه الغزنويون والسلاجقة وغيرهم من الاتراك كرمز للسلطة الدينية ثم انتقل بعد ذلك الى مصر ايام الايوبيين . ينظر : العبادي ، قيام دولة المماليك ، ص١٩٠ .
(٨٩) الخربوطلي ، الاسلام والخلافة ، ص ٢٤٩-٢٥٠ ؛ سرور ، دولة بني قلاوون ، ص ٩٧ .
(٩٠) عبد القادر احمد اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر (بيروت : ١٩٦٩م) ، ص ٢٠٩-٢١٠ ؛
Fillip , Hitti , History of Arab (london : 1960) p. 674 .